المبحث الأول: الابعاد الفلسفية و الفكرية لخطاب التجديد عند زكي نجيب محمود

المطلب الأول: العقل و التراث عند زكي نجيب محمود

1- مكـانـة العقـل في التـراث

إن المتأمـل لخطابات المفكر **زكي نجيب محمود** التحديثية، يظهر لـه أنها كلها تدور حول تنصيب العقل كسلطة مركزية ورئيسية في حياتنا الثقـافية،نحتكم إليه في كل المجالات لتجاوز أوضاعنا المزرية، باعتباره عملية ممارسـة ونشاط أو قراءة النصوص، أو بالأحرى تلك الصفات الفطرية التي تتميز بها هذه الملكة، أي قدرة التبصر والإدراك، وكذا التأمل والتحليل والنقد البنـاء، ثـم إضفاء جملة الأحكام عليها بعـد عملية الفحـص والـتمعن حـول المواضـيع والإشكاليات المقترحة للنقاش.

وللتذكير فقط فإن تراثنا العربي الثقافي حسب تفكير **زكي نجيب محمود،** هو مزيج وخليط تشابكت فيه شطحات اللاعقل، مع الوقفات العقلية، وانطلاقا مـن هذا الكلام يمكن لنا أن نطرح سؤالا وجيها وجادا، وهو: **كيف أخذ العقل طريقه وسبيله في التراث العربي ؟**

لا ننكر في عصرنا الحالي الذي احتل العلم فيه مكانة لا بأس بها ومـا تفرع عنه مـن تقنيات؛ وإذا قلنا العلم يعني قصدنا بـذلك عصارة واستنتـاج العقـل الإنساني، ومفكرنا العربي في دعوته وخطابه التحديثي يريد أن يشكـل ويؤسس و يشيـد خطـابا نهضويا، ونلتمس ذلك من قولـه: **((الصلة بـين الأسـلافوبيننا في مجال الفكر والثقافةطبيعية فيهـا نـبض الحيـاة لا متكلفـة ولا مصطنعة، فنصون تراث الأسلاف من جهة، ولا نطعن على شخصية الأحفـاد من جهة أخرى))[1] .**

إن الأشكال والنماذج الحضارية صبغت بالنظرة العقليـة والحكـم المنطقـي الخالص، وهذا الاحتكام إلى مقاييس العقل وحده، قد يبتـدئ في أشكال

وصور مختلفة ومتنوعة، باختلاف العهود والعصور، ويتضح هـذا فـي عـدة ميادين ومجالات سياسية كالتشريع وعلوم الطبيعة، لكن هذه المجالات المتنوعـةوإن تعارضت في محتوياتها وعمقها، كما هي في الأخير إلاّ تطبيقـات مختلفـة لمبدأ واحد ألا وهو الحكم المنطقي العقلي وحده دون سواه.

فهذه **العقلانية** هي وجهة النظر التي يتخذها التماثل الحـضاري الإنـساني، واعتبارها نقطة البدء للنهوض والصحوة، واجتياز الحالة الراهنة، إلـى حالـة مستقبلية تكون متجددة، فالعقل باعتباره خاصية وميزة ذاتية وإنـسانية، حـسب **زكي نجيب محمود؛** وإذا أردنا أن نحيا حياة فكرية، وتكون امتدادا طبيعيا لثقافـة الأسلاف نربط فيها ماضينا بحاضرنا، يجب أن نواصل السير على درب العقـل والاحتكام إليه حتى نستطيع أن نتأقلم مع حضارة الغير

[1] :زكي نجيب محمود، **تجديد الفكر العربي**، ص: 304

بكل سلبياتها وإيجابياتها، من أجل هذا يقول " **محمد بلعزوقي**": **((العقل سلوك يسعى في جوهره إلى تكريس فعالية الإنسان في الطبيعة والمجتمع))**.[1]

فالعقل كما يعرفه **زكي نجيب محمود**، هو الحركة التي ننتقل بها من شاهد إلى مشهود، وعليه فهو الانتقال من المجهول إلى المعلوم، والمهم هنا أو في هذا الإطار هو الانتقال من حالة إلى حالة أخرى، لا المبدأ ولا الغاية لأن الغاية تكون وليدة ونتاج الرغبة والميل؛ أو بعبارة أخرى: الجانب العاطفي الداخلي من الإنسان، كما يرى أن أسلافنا الأوائل في نظرتهم إلى العالم أو الكون، نظروا إليه نظرة عقلية خالصة، ويتجلى ذلك بوضوح في طلبه مالعلل المفسّرة لأوضاع اللغة العربية، مع رد وإرجاع الأشياء إلى أصولها وجذورها ومصادرها ومبادئها التي تفسرها، ببساطة شديدة؛ إنها الوقفة العقلية الهادفة والواعية والجادة، كما تظهر هذه الوقفة في مزج الإنسان العربي للنظرة الصوفية والمنطق العقلي " **فلسفة أرسطو** "،هذا النوع من المزج لا يتمثل بصورة جلية وواضحة في ثقافة أخرى كما يتمثل في الثقافة العربية، وهذا في الحقيقة ليس راجعا إلى نوعية اللغة، وإنما إلى إعتباروكون الثقافة تقبل وتتطلب منطق العقل، وثقافة أخرى لا تقبل ذلك، ومن الأمثلة على ذلك " **دولة الصين الشعبية**"، "**دولة الهند**"؛ فبحكم هذه الثنائية والمزاوجة بين العقل والوجدان، يفصل الإنسان العربي بين فكرة المطلق وفكرة النسبي، وعن هذه الفكرة يقول زكي نجيب محمود: **((وإذا كانت تلك هي عقلانية العربي القديم، فيما لم يكن يلزمه بالنظر العقلي، فمن باب أولى أن نجد هذه الوقفة أوضح، وأجلّ فيما يستوجب عقلانية النظر، كعلم الكلام، والفلسفة فضلا عن العلوم رياضية كانت، أو طبيعية.))** [2].

نفهم من هذا حسب تصور مفكرنا العربي، أن أسلافنا الأوائل كانت لهم وقفات عقلية خالصة وواضحة إزاء المشكلات التي تقف أمامهم كعائق كبير، وتتحداهم لاجتيازها، كما تظهر في العلوم الرياضية التي ابتكروها، وفي ميدان الأدب الذي كان الشعر فيه يحتل الصدارة بشتى مناحيها وأبعادها، فما يحتوي عليه من حكم وصور أشدَّ وقعا وتعبيرا وتصويرا للواقع المعيش، والمفكر العربي **زكي نجيب محمود** عندما يدعو إلى الاستفادة من التراث العربي بأن نتمثل الوقفات العقلية الجادة دون إعادة وتكرار نفس المشكلات القديمة، لذلك يحدثنا عن الإشكال المطروح بقوله: **((كان للعقل أعظم القيمة عند أسلافنا، فذلك ما ينبغي له أن يكون له بين المعاصرين، لنقول أن الأمة العربية واحدة تاريخها الفكري موصول بين الأولين والآخرين))**[3].

2- عقلنة التراث العربي

---

[1] محمد بلعزوقي، **مفهوم العقل عند زكي نجيب محمود**: مجلة دراسات فلسفية، مجلة نصف سنوية يصدرها معهد الفلسفة، العدد الأول، سنة 1996 م، ص ص: 166-167.

[2] زكي نجيب محمود، **تجديد الفكر العربي**، ص: 325.

[3] **المصدر نفسه** ، ص: 329.

ليس بإمكاننا أن نقرأ تراثنا الحضاري بصفة هادفة لمواكبة متطلباتالعصر الراهن المتشعب والغريب بتكنولوجيته وتقدمه الطبي سوى العقل باعتباره الأداة الفعالة لحل مشاكلنا المتعددة، فالعقل هو السبيل الوحيد الذي بواسطته نستطيع أن نقرأ التراث قراءة واعية ونقدية، أو بعبارة أخرى نقوم بعملية غربلة التراث العربي، ونحافظ على الجوانب العقلية، وننزع ونطمس عنه تلك الشطحات اللاعقليةوالاستهتارية، التي لصقت بمحتوى ومضمون التراث العربي الإسلامي منذ سنوات طويلة، وتزول من ذهن الدارس والقارئ العربي أو المثقف العربي حين يتعامل ويقرأ التراث من خلال نصوصه الأصلية، ومن هذا المنطلق يصبح التراث العربي في تصور **زكي نجيب محمود** تراثا عربيا نقيا وهادفا ينبض ويخفق بحياة ثقافية عقلية بعيدة الأفق، بعيدة عن الطروحات الساذجة التي تدنس التراث العربي.

وانطلاقا من هذا المحتوى، يحاول المفكر العربي **زكي نجيب محمود**، أن يقدم لنا بديلا آخر لقراءة التراث العربي، فيقترح لنا ثلاثة مناحي من التراث العربي.

المنحى الأول: هو إعادة النظر في النظام السياسي، بمعنى النظر في الحرية وعدم احتكار السلطان للرأي.

المنحى الثاني: التخلص من سلطان الماضي على الحاضر الذي يرفضه الأسلاف عن اللاحقين، الأمر الذي جعلهم يكررون القديم، دون أن يعرفواأسباب نشأته هذه، ومتى تطبق وكيف تطبق، ومما نجم عنها من افتقار كليوعام إلى التفكير العقلي، وهي الجوانب الخرافية التي يدعو إلى دحضها المفكرالعربي **زكي نجيب محمود**.

المنحى الثالث والأخير، هو عامل الدين فقد رآه خلطا بين الدين والتفكيرالديني،فالدين هو جملة المبادئ العامة تتمثل في المصدر الأول ألا وهو القرآن الكريم، والمصدر الثاني هو السنة النبوية الشريفة، والمصدر الأخير هو الاجتهاد والقياس والإجماع، يرجع إليها الفرد أو الإنسان العربي المسلم أثناء الحاجة لحل المسائل الدينية الخالصة.

أما فيما يتعلق بالتفكير الديني، فهو فكر ونتاج إنسان عقلاني قام على هذا الدين، فعلى سبيل المثال، إذا كان النص في الدين واحدا لا يختلف، فإن النص في الفكر الديني متعدد ومختلف، بحسب تعدد وجهات النظر الإنسانية والبشرية حول هذا الدين، وبالتالي فإن قيم و مبادئ وتعاليم الدين واحدة وثابتة منذنشأته ووجوده حتى نهاية هذا الوجود أو العالم وزواله واندثاره، بينما الفكر الديني يكمن الحكم عليه بحكم معياري فنصفه ونحكم عليه بفكرة التقدم أو الجمود أو التخلف، أو فكرا دينيا تقدميا، وفق اهتمام الإنسان ، وإما أنه فكر ديني رجعي، ولهذا يقول: ((**إن أهم عنصر يشكل شخصية العربيّ، وأهم عناصر ثقافته، هو الدين فإذا حاولنا أن نوجد تصورا للحضارة وللنهضة الجديدة يجمع بين الأصالة والمعاصرة التي تستطيع أن تهمل عنصر الدين المعبر عن أهم سمات الشخصية**

العربية والمتحكم في وجهةنظره الثقافية))[1]؛ ومن ثمة تعددت الآراء والأقوال حول مفهوم الدين، وموضوعاته، وغاياته وأهدافه حتى بات من الصعب والمستحيل وضع إطار يجمع ويتفق عليه الجميع، مع العلم أن البعض يحاول وضع تصور لمحتوىالدين، أو بعث التصورات التي توضع من قبل بعض المفكرين حول الدين، وإذاأخذنا وطبقنا على سبيل المثال هذا التصور والرأي والمسعى على مفكرنا العربي**زكي نجيب محمود،** لوجدناه يضع للدين تصورا ومفهوما معينا، وبالتالي فهويرى أن: ((**الذي يقدم إلينا المبادئ الأساسية التي نسلك على صداها والتي من شأنها أن تبلور لنا رؤية خاصة، وموقفا معينا من الكون والحياة بصفة عامة))[2].**

يبدو أن هذا التصور هو الجانب السلوكي، والذي هو سلسلة من الأنماط والأشكال الشعورية المعبرة عن الأخلاق، بالإضافة إلى ذلك تقديم وجهة النظر الإنسانية إلى الحياة المختلفة، مع إضفاء أحكامنا وآراءنا ومواقفنا عليها بمعايير وأشكال وأنواع مختلفة. فعلى هذا الأساس يحاول مفكرنا، أن يميز ويفرق بين الدين كنص، ورسالة سماوية شرعية، وبين علم الدين كتصور إنساني عقلي خالص، وبرهان استدلالي قائم على هذا الدين، فعلى هذا النمط كانت الغاية المرجوة، من خلال نظرته ورؤيته للدين هو أن يسعى بكل ما يملك جاهدا إلى تعديل وتصحيح النظرة والرؤية عند العامة، فكان الظن منهم أن الدين جوهر مقدس بحيث لا يضاهيه أو يساويه أي علم من حيث القداسة والتبجيل والاحترام، وبالتالي كان الموقف المنتج والجاد على إثره عند العامة، والخاصة أيضا، إلى الحرص على إبقاء جملة النصوص الدينية كما هي موجودة، دون أن تكون هناك مجهودات ومحاولات جادة وهادفة لاستقراء هذه النصوص، والعمل على تجسيدها في أرض الواقع المعيش.

فالعقل الذي كان يقصده المفكر العربي **زكي نجيب محمود** هو فعاليةونشاط التطبيق، أي أن يتحول العقل إلى سبيل يستخدمه الإنسان، أو منظوريحكم به الإنسان على ما يلاقيه في قضايا وأمور حياتية بشكل عام، لأن المنهجالذي يقوم على حركة انتقالية يبدأ في عمله وسيره من شواهد وأسباب، ومقدماتوينتهي في نهاية المطاف إلى نتيجة؛ وفي هذا يقول: ((**ومن ثم كان العقل هو الذي يتعقب الحدث إلى أسبابه أو إلى نتائجه))[3] .**

تأسيسا على ما سبق ذكره، يؤكد **زكي نجيب محمود** على أهمية ومكانه ودور العلم، ودوره في تحقيق النهضة والتقدم وبناء الصرح الحضاري، وهذا ما يجسده في قوله: **((أنا أؤمن بالعلم، وعندي أن الأمة تأخذ نصيب من المدنية، يكثر أو يقل ما تأخذ من العلم ومنهجه))[4]** ، ومن هنا نستشف منهجه الذي يقوم على ربط الظاهرة التي يريد تعليمها وربطها بظواهر أخرى، مما يقع في التجربة الإنسانية والبشرية ربطا يجعلها جزءا من

---

[1] زكي نجيب محمود، **هموم المثقفين**، دارالشروق، ط 1، بيروت القاهرة، سنة 1981م، ص: 84.

[2] زكي نجيب محمود، **قيم من التراث**، دار الشروق، ط 1، بيروت القاهرة، سنة 1984م، ص:146.

[3] زكي نجيب محمود، **تجديد الفكر العربي**، ص ص: 310–311.

[4] زكي نجيب محمود، **بذور وجذور**، دار الشروق،ط2، بيروت القاهرة، سنة 1984 م، ص: 394.

مجموعة مطردة الحدوث، والعلم تحققه وتجسده طريقة أكثر منه مجموعة من النواميس والقوانين المعينة.

ومن هذا المنطلق يرى هذا الأخير، أن الفرق الموجود بين نظرة العربي والغربي إلى الطبيعة وعلاقتها بالإنسان هو أن العربي يقابل بينهما، في حين أن الإنسان الغربي يطابق بينهما، فالطريق تستوقفه علاقة الإنسان بالطبيعة والكون، وفي هذا المجال يقول : ((**كيف يتاح للإنسان أن يدرك ما يدركه، بالحواس يدركه، أم بالعقل المحض، أم بأداة أخرى لا هي مرهونة بحاسة ولا عقل كالحدس**))[1] .

مما لا ريب فيه إن النظرتين تختلفان من تعقيل الطبيعة في سيرها كالإنسانسواء بسواء، ومن حيث تطبيع العقل بحيث تجعله كأي ظاهرة من الظواهر فيالطبيعة، وموروثنا وثقافتنا ترفض الموقف الثاني، أي ترفض أن يكون العقل،كسائر الأعضاء الأخرى، وأخذت به الحضارة الغربية المادية، وبعبارة أدقّ، أنالإنسان الغربي ينظر إلى العلاقة بين الذات العارفة، والموضوع المعروف، أما الإنسان العربي يتمركز وينصب تفكيره وتأمله حول علاقة الفاعل بما ينجر عليه فعله، وفي هذا يقول **زكي نجيب محمود**: ((..وأحسب كثيرين ممن عرفوا شيئا عما كنت أدعو إليه قد يذكروننني في هذا الموضع، بأنني قد تنكرت لجانب من دعوتي إذ كانت دعواي دائما هي أن القيم نسبية تتغير بتغير الثقافات ولكن لا أراني قد بعدت كثيرا عما كررت الدعوة إليه ذلك لأنَّ ثبات القيمة في إطارها العام، لا ينبغي تغير مضمونها بحسب تفصيلات العيش في عصر من العصور، فحرية الإنسان مثلا مبدأ مقطوع به أو يجب أن يكون لكن مضمون الحرية تغير لأنه يتسع مع نمو الإنسانية ونضجها))[2].

يبدو أن النظرة التي عهدناها والتي هيمنت على رؤيتنا هي أن هناك طرفين متطرفين، فطرف أخذ موقفا معاديا من الثقافة الأوروبية، والعربية، لكونها في نظره تكتسي بعدا إيديولوجيا، وطرف آخر رأي العكس، بحيث رأى أن التعامل والتفاعل مع ثقافة الغير أي الغرب أفضل وأحسن وأليق من التعامل مع الثقافة الأم أو الأصل، باعتبار أن ثقافة الآخر أو الغير هي ثقافة ممارسة وعمل وتطبيق ونشاط فردي في واقعه، بحيث تأخذ قيمة الحرية كأعلى قيمة جمالية إذا ما قارناها مع القيم الجمالية الأخرى.

وهنا بالضبط تظهر لنا جليا أن قراءة **زكي نجيب محمود** للتراث العربيالإسلامي ركز فيها على ثلاثة مجالات رآها أساسية وجوهرية؛ لأنها تحمل أبعاداإنسانية خالصة، لا تحقق للإنسان وجوده واستمراره في هذا العالم، أو علىالأقل اعتبار الفعالية الإنسانية هي المسؤولة عن هذا الشيء، لكونها تحايث النصالديني، أو السياسي، أو الثقافي بشكل عام، محايثة مباشرة فتأخذ وتنهل وتستلهم منها الأداة، والرؤية والمنهج السليم.

إن التكتّلات السياسية باختلاف مشاربها جعلت الإنسان يجهل دلالة النص أو بالأحرى حتى عملية التعامل معه، حتى أصبح يجهل حقيقة وجوهر عقيدته ومبادئها

[1] زكي نجيب محمود، **تجديد الفكر العربي**، ص: 367.
[2] **المصدر نفسه**، ص: 285.

السمحة، وإضفاء على النص الديني ما ليس به من جانب القداسة والاحترام، ففي رأي هؤلاء الأفراد ، قد عطّل النص الشرعي وجعله يتنافى، وتجليات ومتطلبات العصر، أو الواقع الإنساني إن صح التعبير، ويرجع مفكرنا العربي هذا الأمر إلى عدم النضج والوعي والإدراك العقلي الجاد، لهذايعرفه لنا مفكرنا قائلا: **((هو القدرة على تمثيل المبادئ التي نزل بها الإسلام والتزامه في استدلالاته بالعقل، بعد ذلك كلما أراد لنفسه هداية في دنيا السلوك))[1].**

وعندما يدعو **زكي نجيب محمود** الإنسان العربي إلى حثه وإشاده بالعقل وتنصيبه كأداة ووسيلة لحلّ بعض المشكلات والمعضلات التي تقف أمامه وتواجهه وتعكّر سبيله في الحياة، ليس إلاّ أن العقل قد ألصق بالإنسان بكل حيثياته وجزئياته المختلفة، وفي هذا يرى مفكرنا وأستاذنا العربي أن معضلات ومشكلات الحياة الإنسانية تتغير وتتجدد عصرا بعد عصر،وبالتالي لا تستطيع أن تقف عند مشكلات ومعوقات المسلم القديم،ولا نبحث مشكلات وعوائق المسلم المعاصر، إلاّ العودة إلى استخدام المنهجالتجريبي الذي يفحص العينات والنماذج والأشكال المختارة والمستقاة في حدودالموضوع المعروض للدراسة العلمية الميدانية، ثم يحاول إحصاء وحساب النتائجبعملية إحصائية وحسابية ورياضية لا تقبل الشك والجدال لأنها أمور بديهية وعقلية[2] .

وخلاصة القول، **فالأستاذ زكي نجيب محمود** يؤكد ويلح على أن هناك اختلاف بين العلم والدين، لأن العلم نمط وشكل ونوع قائم بذاته، يتميز بالعمومية والشمولية والعالمية التي لا تفرق بين وطن وآخر، وبلد وآخر، ودولة وأخرى، ولا بين دين ودين؛ بمعنى أدقّ وأكثر وضوح ودقة أنه يختلف عن الخصوصية والجزئية التي تعرف بها الثقافة، عندما تكون لكل شعب من شع وبالمعمورة ثقافته الخاصة به، أو بعبارة أخرى العلم ملك الإنسانية قاطبة، العلم يجب أن يكون عالميا وليس جهويا أو إقليميا .[3]

لقد حوى هذا المبحث توضيح المحاولة التي قام بها **زكي نجيب محمود** من أجل توضيح نظرته للعقل وفق منهج الوضعية المنطقية الذي تبناه والذي رأى فيه مدخلا وحيدا لقراءة جديدة للعقل .

المطلب الثاني: المحاولات التجديدية عند زكي نجيب محمود .

لعل أمام الدارس للفكر العربي المعاصر مجموعة من الألفاظ والمعاني والدلالات التي اشتغل بها أبناء الوطن العربي، واعتبروها ضمن دائرة الاهتمام على فترة من الزمن، قدرت بحوالي قرن ونصف قرن في مراحل أولى لهم، كانت هناك مفاهيم ومصطلحات وأفكار و دلالات مستحضرة وموجودة ويقصد بها: فكرة التمدن والرقي والتقدم،

---

[1] زكي نجيب محمود، **بذور وجذور**، ص: 403.

[2] راجع: زكي نجيب محمود، **مجتمع جديد أو الكارثة**، دار الشروق، ط 1، بيروت القاهرة ، سنة 1990 م، ص ص:261-262 .

[3] راجع: محمد عابد الجابري، **الدين والدولة وتطبيق الشريعة**، مركز الدراسات الوحدة العربية ، ط1 ، سنة 1996 م، ص ص: 20–21

والصحوة، واليقظة، والانبعاث والتطور، والإصلاح، والنهضة ...إلخ، غير أنه في مرحلة لاحقة اكتسحت الوطن العربي جملة من المفاهيم والمصطلحات الجديدة الأخرى مثل، عبارة " التحرر الوطني"، و" الدولة الوطنية"، و " الدولة القومية الكبرى "، ومفاهيم ومصطلحات أخرى.

وعلى هذا الأساس يمكن القول، إذا كانت الأصالة كما يرى مفكرنا العربي، قد دارت على الوجدان والعاطفة، فإن مسألة المعاصرة تدور حول العقل باعتباره السبيل للوصول إلى الحقيقة، وفي ذلك يقول: ((أن تؤمن بهذا الصانع، وبما يتصف هذا الإيمان شيء والعلوم الطبيعية والرياضية وميادينها، وقوانينها شيء آخر.فالمعاصرة هي فيما له علاقة بمشكلات اليوم، فهي في مقابعة العلوم وتقنياتها، وتطبيقاتها، وفي مقابعة الفنون.وفي مقابعة أنظمة الحكم والتعليم، والاقتصاد وغيرها من وسائل العيش وفق الحضارة التي يحياها))[1] ، إذن من هنا كانت عناصر المعاصرة على خلاف أو اختلاف مع عناصر الأصالة، سواء في المصدر.

أو المنهج، ومن ثم يمكن لنا أن نطرح جملة من التساؤلات الجادة والهادفة وهي: **كيف نوفق بين هذين التيارين أو الإتجاهينالمختلفي العناصر والأجزاء ؟.**

للإجابة عن هذه الأسئلة ، يطرح **الأستاذ زكي نجيب محمود** سؤالين منأبرز الأسئلة المتعلقة، بهذا الموضوع وهي: **ما هي العناصر التي نقصدها ونعنيها حين نتحدث ونتكلم عن الهوية والشخصية العربية الأصيلة ؟ ما هي أهم وأحسن العناصر التي تتشكل وتتألف منها بنية الثقافة العربية ؟** يجيب عنها بقوله: ((**وبعد الإجابة عن هذين السؤالين، تكون أمامنا صورتان، وقد يسهل علينا** بعد ذلك أن نتلمس السبل إلى خلق المركب الواحد، الذي يضم ما يمكن ضمه من أجزاء الصورتين، دون أن تضيع من أيهما صفة جوهرية فينتفي بذلك وجودها))[2].

إن هذه الرؤية هدفها أن تحفظ وتصون التراث العربي الإسلامي ليبقى في حياتنا الحاضرة كائنا حيا، ثم نفاعله مع مقومات هذا العصر، مع العلم لقد غلب في المراحل الأولى على **موقف زكي نجيب محمود** من التراث، الجانب النفعي الذاتي، وهي القيمة المادية الخالصة، إلا أنهبعد مرحلة من مراحل تفكيره تغيرت رؤيته لهذه القيمة المادية النفعية البراجماتية إلى قيمة روحية تدفع إلى العمل؛ وفي هذا يقول **:((** فقيمة الكتاب القديم لا تنحصر في النفع العملي المباشر وحده، بل لابد أن يضاف نفع آخر وهو القدرة على إحداث الأثر النفسي المطلوب، فيما يتصل بين سلف وخلف لتتواصل الحلقات في وجدان الأمة))[3]، من هنا ندرك فعلا تغير موقفه من التراث العربي الإسلامي

فبعد أن كان بمثابة كما مهملا لا يصح أن نلتفت إليه لأنه لم يقدم لنا حلاومعونة تساعدنا على قيام النهضة، وعندما تغيرت وجهة نظره ومفهومهعن الحضارة تغير

[1] زكي نجيب محمود ،**تجديد الفكر العربي** ، ص : 133 .
[2] زكي نجيب محمود،**ثقافتنا في مواجهة العصر**، دارالشروق، ط1، بيروت،سنة 1976 م، ص :55.
[3] زكي نجيب محمود، **عربي بين ثقافتين**، دارالشروق، ط1، بيروت، سنة 1990م، ص ص: 128–129

~~بالطبع موقفه من التراث، ويرى أن التقدم يتم " إذا استطاع حاضرنا أن يبتلع ماضينا~~ **لينقل ذلك الماضي من حالة كونه تحفة نتفرج عليها، وعبارات نرددها إلى حالة كونه غذاء لدماء في شرايينها "[1].**

فعلى هذا الأساس يكون استيعاب الماضي وفق مجموعة من الشروط والأصول، ومن بين هذه الشروط، فكرة النقد البناء وأخذ ما يتلاءم مع متطلبات عصرنا الحالي، لذلك يقول **زكي نجيب محمود**: ((نأخذ من تراث الأقدمين ما نستطيع تطبيقه اليوم تطبيقا عمليا يضاف إلى الطرائق الجديدة المستحدثة))[2]؛ وعملية الاستفادة من التراث العربي الإسلامي كما يتخيل ويتصور مفكرنا العربي، هي أخذ محتوى ومضمون النص المنطقي، لا ألفاظه وتجنب عوامل الضعف والإخفاق فيه، ومن هذا المنطلق يمكن القول أن الأصالة (التراث) والمعاصرة (الحداثة) هي أن نجمع بين العلم الذي هو روح العصر وشريانه، والتراث بعد عملية نقده واختيار ، وأخذ ما هو صالح ومفيد وهام من أجل المساهمة والمشاركة في عملية تقدم ورقي المجتمع .

و الخلاصة يمكن القول أن **إشكالية الحداثة** في فكر **زكي نجيب محمود**، تطرح كإشكالية مركزية في فكره، ابتغاء الربط بين الثقافة القديمة والثقافة الجديدة، أو بعبارة أخرى بين التراث القديم والجديد، وهذه المسألة توضح لنا بشكل ظاهر عند معالجة مسألة الحداثة **(المعاصرة)** المرهونة هي الأخرى بمنهج الأصالة .

يمكننا الآن وبعد هذا التحليل المتواضع أن نصل إلى أهم المواضيعالتي يجب أن نأخذها من التراث العربي في تصور **زكي نجيب محمود**، وهيالثقافة، والهوية التي تميزنا عن بقية شعوب المعمورة، وتجعل لنا وجهة نظرخاصة، هذه النظرة تبنى في أغلبها على الدين، فيكون عندئذ الدين هو الدعامة والعنصر الأساسي في التراث العربي الإسلامي، الواجب علينا أخذها والاستفادة منها في حياتنا المعاصرة .

لقد حاول مفكرنا العربي **زكي نجيب محمود** في مراحل حياته الفكرية إلى تجسيد وتطبيق معالم ودعائم وأسس وتجليات **المشروع النهضوي** داخل الوطن العربي، من خلاله يتسنى الحفاظ على الموروث العربي الإسلامي الأصيل، بعد دراسته تحليلية وتاريخية مستمرة ودائمة وجادة وواعية، ومن ثم استقطاب وجلب اهتمامات وتصورات عصر النهضة الأوروبية، وتحقيق وتجسيد مسعاه على مساعي الأمة العربية؛ كذلك الطرح والمغزى الأول والضروري، كرسه الخطاب النهضوي العربي المعاصر، من خلال إسهامات واجتهادات ورؤى المفكرين العرب، ومن ضمنهم المفكر العربي **زكي نجيب محمود**، والذي يجب كما يراه هو ، أن تكمل المسيرة التي بدأها أسلافنا، ويقصد بذلك نخبة من المفكرين (**رفاعة الطهطاوي**)، والشيخ **محمد عبده** (1849ـ1905 م)، **والسيد جمال الدين الأفغاني** (1839-1897 م)، **ورشيد رضا** (1865 - 1935)

---

[1] زكي نجيب محمود، **قيم من التراث**، دار الشروق، ط1، سنة 1984م، ص: 172

[2] زكي نجيب محمود، **تجديد الفكر العربي**، ص: 18.

والآخرين، الذين ساهموا وكرسوا حياتهم وجهودهم من أجل محو آثار الفشل و النكسة والهزيمة، والخضوع التي عمتوسادت مساحة وأرض الوطن العربي الأصيل[1] ، فعلى هذا الأساس يستحيل ويصعب علينا أن ننهض ونتطور ونتقدم ميلا
أو خطوة واحدة نحو الأمام من تأسيس ما يسمى بالمشروع التجديدي أو النهضويما لم نعطي الأسبقية إلى العقل باعتباره المقياس الوحيد الذي نلجأ إليه أثناءتعرضنا لبعض المشاكل العويصة، هذا من جهة، ويجب أن تكون ممارستناونشاطنا للحياة قائمة ومرتكزة على وعي وإدراك باللحظة التاريخية، وبعبارة أخرى أن يكون لنا وعي وإدراك على مستوى التنظير السياسي والاقتصادي، والاجتماعي والديني، وعلى مستوى القيم العليا الراسخة في جوهر وقلب المجتمع.

و بهذا يرى المفكر العربي **زكي نجيب محمود**، أن العالم الغربي عرف مشاكل وهزات في تاريخه الطويل، ولكن رغم هذه المشاكل إلا أن اليقظة للإنسان الأوروبي حفزت هؤلاء الأفراد من أن يفكروا في مخرج لاجتياز هذه العقبة الصعبة، فكانت يقظتهم ونهضتهم في جميع مجالات الحياة، ثقافة وسياسة واقتصادا وصناعة وتقنية، معتمدين في انطلاقاتهم هاته على النظرة العقلية التي من شأنها أن تحول العقل على تكريس أطر وآليات التثقيف والإسهام الدائم والمستمر على بعثه وإحيائه وتجديده، مما يحقق لنا عملية التحديث والعصرنة على المستوى الاجتماعي والاقتصادي، هذه النقلة المستقبلية التي عمل بها الأوروبيون، هذا ما كان يصبو إليه **الأستاذ المفكر** أن نحياها نحن كذلك، حيث يعمل التحديث على تفسير العقليات والذهنيات المتحجرة[2]، وبالتالي فالإنسان العربي سبيله إلى الحداثة أمر ضروري في وعصرنا هذا .

وعلى هذا الأساس، يمكن القول أن منذ فجر التاريخ الإنساني، أعطىالإنسان اهتماما بالغا بما يتعلق بقضايا العلم والتقنية، والتكنولوجيا الحديثةوالمعاصرة، فكانت بطيئة جدا مع العلم إذا قارناها مع نهضة القرن السابع(17)عشر، فمما لاشك فيه قد عملت هذه السرعة على تقليص المسافة، واختصارها، بحيث لا يمكن إعتبار هذه التكنولوجيا والتقنية التي وصل إليها العالم اليوم كثورة تكنولوجية فحسب، بقدر ما هي تقدم وتطور سريع جدا في ميدان التكنولوجيا، لقد عم العلم واكتسح قطاع الإعلام، ووسائل الاتصال، مما أدى إلى تحويل هذا التحايث إلى صورة حية نابضة تهاجم العقل العربي في عقر داره، فهذا كل ما كان يسعى إليه **زكي نجيب محمود** فيما يتعلق بقضية التحديث الشاملة وتجلياته العامة في مختلف التخصصات والمستويات من أجل الخروج من بوتقة التخلف ومن

[1] راجع منى أحمد أبو زيد: **الفكر الديني عند زكي نجيب محمود**، ص ص: 157–158.

[2] راجع : فؤاد زكرياء: **التفكير العلمي** –سلسلة عالم المعرفة - المجلس القومي للفنون والآداب،ط1، الكويت، سنة 1988 م، ص: 84.

أوصاعنا المتردية والمزرية التي قيدت وكبلت أوصاع وأحوال الأمة العربية والإسلامية في شتى الميادين[1].

إن الدارس والمتأمل والقارئ والمتتبع لأي خطاب من خطابات المفكرين العرب المعاصرين، يجدها تدور بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في المناداة بتطبيق وتجسيد ما يطلق عليه " بالخطاب النهضوي التجديدي ".

ففكر وخطاب مفكرنا العربي على سبيل المثال لا الحصر، أعطى اهتماما لا بأس به من أجل قراءة التراث العربي الإسلامي، ومن ثمة الإطلاع عليه ومعرفة مصادره التي تساعده على معرفة شكله ونوعه ومضمونه أو محتواه، حتى تكون معرفتنا بحداثة العالم الآخر معرفة واعية وجادة وهادفة خلال معايشته عن قرب؛ هذا ما جعل مفكرنا الأستاذ يخلص في نهاية الأمر إلى طرح رؤية تهدف إلى اقتراح الجمع بين **التراث والحداثة**.

إن مجرد المناداة بتطبيق الخطاب التجديدي أو النهضوي ونهج أسسه فيالبداية، بدأ كإشكالية معقدة وعويصة وكبرى طرحت من قبل على رجالالإصلاح الأوائل؛ هذا يعني في تصور **زكي نجيب محمود** حتى تحقق معالموأبعاد وآفاق المشروع النهضوي الشامل، فعلى هذا الوضع يجب أن يكون **خطاب العقل العربي** خطابا ذا منحى تراثي عربي ، وحداثي أوروبي؛ ولن يتأتى تحقيق هذا الأمر إلا إذا امتلك العقل العربي في حد ذاته المبررات والمنطلقات التي بها يستطيع أن يجسد ويحقق المشروع أو **الخطاب التجديدي والنهضوي** على جميع الأصعدة والمستويات، الثقافية والسياسية، والاقتصادية.

ومن ثمة فالسؤال الوجيه والمنهجي هو :**كيف نحقق إبداعا فكريا في نظر زكي نجيب محمود ؟**

يتصور **زكي نجيب محمود** أن قضية **التوفيق** بين التراث والحداثة واجهتها صعوبة، بل هي مسألة مؤرقة إلى حد ما نظرا لما يدركه منذ الوهلة الأولى إلى التناقض أو ما يشبهه الذي يشوب هذه العلاقة، مما أدى إلى القول على حد اعتبار مفكرنا، أن المشروع الفكري في الوطن العربي قد نزع إلى نزعات ثلاث هي :

أ –توجه أنصارها نحو الموروث، وإلى مجرد إعطاء التراث النصيب الأكبر في جملة دراساتهم دون أن يبالوا أو يأبهوا بما يجري في العصر.

ب –اندفع أنصارها نحو الثقافة الغربية، ثقافة العصر.

ج –أكد أصحابها ضرورة الدمج بين النزعتين السابقتين.[2]

ومن جهة مماثلة، يحاول مفكرنا أن يفسر ويوضح مسألةأخرى على غاية من الأهمية، تتلخص أساسا في عدم وجود خطوط ورسوم -

فاصلة بين هذه النزعات الثلاثة، ويؤكد أن كل ما يجمع بين هذه الأفكار والآراءوالاتجاهات والتيارات الفكرية، ماهي إلاّ سوى عملية الانتقال والتداخل بينها،وهذا معناه أن لكل شعب

[1] راجع، غالي شكري: **النهضة والسقوط في الفكر المصري الحديث**، الدار العربية للكتاب، ط 1، سنة 1983 م، ص:142.

[2] راجع: زكي نجيب محمود: **قشور ولباب** ، دار الشروق، بيروت القاهرة ، ص ص: 116–117.

من الشعوب تاريخا وتراثا وإرثا ثقافيا تكون وتربتونمى عبر العصور والتاريخ الإنساني القومي[1].

إذن ، الثقافة العربية المعاصرة تختلف عن كونها ليست بقايا ثقافة الماضي، بل هي ثقافة هذا الواقع المعيش، وبعبارة أخرى أن للثقافة العربية في تصور مفكرنا العربي **زكي نجيب محمود** من العمق والقوة، بحيث لم تنل منها ظروف وعوامل الدهر، وكذا تغيرات وتقلبات الأحوال، أو اعتبارنا أن الغزو الاستعماري للبلاد العربية عمل الكثير من أجل ضرب الهوية الوطنية، من جراء تشويه تاريخها، إلاّ أن هذا لم ينل من عزيمة النشاط الثقافي العربي الإسلامي.

وبناء على كل ما قلناه، كان لابد من تحقيق نهضة فكرية جادة يكون العقل فيها هو الحاكم وهو صاحب السيادة والنظرة النقدية الهادفة التي تضبط مفاهيمنا، ومواقفنا وأحكامنا الفكرية، وهي التي تزرع وتؤسس معالم الفكر التجديدي أو الخطاب النهضوي أو المشروع النهضوي العام والشامل، كتصور عام لحياتنا، وحل مستقبلي اجتمعت حوله الخطابات السائدة من قبل المفكرين العرب المعاصرين؛ والأستاذ زكي نجيب محمود على وجه الخصوص والتحديد بخطابه الفلسفي التجديدي، هذا الذي لا يرى أي مانع أن نطلب اهتمامات العالم الآخر في تسيير أعمالنا وقضايانا وشؤوننا المختلفة.

لاشك أن **مفكرنا** كما يبدو قد ركّز في خطابه التجديدي
على المنحى العملي، واعتبره المسعى الحضاري الذي بواسطته يستطيع الوطن.
العربي أن يعالج أوضاعه المتردية، وفي هذا المقام يقول **زكي نجيب محمود**:قل ما شئت عن عصرنا، لكنك مضطر إلى أن تصفه بصفات ثلاث: فهو عصر علمي وهو عصر تقني، وهو عصر مدار الأخلاق فيه على المنفعة، ولقد جمع مؤلف إنجليزي معاصر هذه الصفات الثلاث في صيغة مركزة، إذ قال إنه عصر ((تقني بنتامي))، أما التقنية فهي تتضمن ذلك الضرب من العلوم الذي يستهدف اختراع الأجهزة التي تجسد قوانينها، ولا تترك هذه القوانين في صورنا المجردة، إبان القرن الماضي))[2].

نعتقد أن مفهوم العلم لم يكن اليوم كما كان في العهد الماضي أو السابق، أي علما بالحديث والفقه، وإنما أصبح علما بالطبيعة وقوانينها؛ إن العلم سمة وخاصية من خصائص العصر الحالي، وبالتالي اعتبره مفكرنا العربي سمة وميزة أساسية تشترك فيها جميع الحضارات العالمية والإنسانية الكبرى، قديمها وحديثها، تتجسد وتتموضع في الاعتماد على العقل كونه الوسيلة الناجعة للقضاء على جل مشاكلنا الراهنة، لكن دوره يتجلى في مسعاه النظري والنقدي، رب ما قد يختلف من حضارة إلى أخرى؛ مع العلم أن الواقع الطبيعي

[1] راجع : أحمد عاطف:**نقد العقل الوضعي**، دراسة في الأزمة المنهجية لفكر زكي نجيب محمود تقديم: إبراهيم فتحي، دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع،ط1، بيروت، سنة 1980 م، ص ص: 126–127

[2] زكي نجيب محمود، **ثقافتنا في مواجهة العصر**، ص: 203.

الحالي قد أصبح في عهدنا ميدانا للعقل؛ الأمر الذي دفع بكل مجتمع من المجتمعات المتقدمة أن تعود وتلجأ إلى العقل بالدرجة الأولى، وأن توجه نشاط وعمل وفعل العقل صوب الطبيعة وأجهزتها ونواميسها بالدرجة الثانية، بالإضافة إلى أن هذا الأخير فسح المجال والباب على مصراعيه للعلم ليقوم ويلعب دورا هاما ورائدا وخطيرا في حياتنا الراهنة والحالية، إن لم نقل أصبح مسألة وقضية من القضايا المطروحة على جميع المجتمعات الإنسانية.

إن الشعوب والأمم الكبرى قد اتخذت العلم كتجربة تصارع ،بها الظواهرالطبيعية، فيعمل الإنسان هنا على دراسة الظواهر ثم استخراج منها جملةمن القوانين.

فالعلم في تصور **زكي نجيب محمود**، قد تمكن من الزحف بوسائله، زحفا سريعا على جوانب الحياة، وتحقق وتمثل سعيه ونشاطه في حل الكثير من المشكلات العويصة، كظاهرة البرد، وظاهرة الجوع، والأمراض والأوبئة، فرغم هذا الدور الإيجابي الذي يقوم به العلم فهو لم يلق الاعتناء والاهتمام، مثل ما قدم وأعطى لباقي العلاقات الاجتماعية الأخرى كالسياسة والحرية، والاقتصاد ...إلخ، فالسياسة بوصفها المرآة التي تعكس ما يجري ويدور في المجتمع ، حيث ما تزال بعيدة في العديد من المجتمعات عن متناول قضايا العلم والعلماء، وما تزال محرومة من مزايا العلم الإيجابية، **فلو أعطي للعلم م ثل ما أعطيت السياسة من مزايا واهتمامات لاستطاع العلم اليوم أن يحقق وينجز ما لم تحققه أية قيمة أخرى.**

إذن ، العلم في نظر مفكرنا يسعى إلى جعل الحياة البشرية ذات شكل صحيح ودقيق من خلال تقدمه الابستمولوجي أو المعرفي، على غرار ما كان سائدا في العهد القديم سواء عند الشرقيين أو اليونانيين.

لقد عرف العلم تقدما كبيرا وواضحا إبان العصر الحديث، أي عصر النهضة الأوروبية، وعلى وجه الخصوص ظهور جملة الأنساق العلمية الكبرى على سبيل المثال: الأنساقالغاليلية، والأنساقالنيوتونية، والأنساقالأنشتاينية، ووصولا اليوم إلى عصر التقنية والتقنولوجيا بشتىأبعادها، وفي هذا المجال يفرق **زكي نجيب محمود** بين كلمتي**"التقنو"** وتعنيالتقنية، و **"لوجيا "** تعني العلم، أي الإنسان منذ القدم كان يستخدم آلات بسيطةلتلبية متطلباته وحاجاته اليومية.

إلى هذا الحد يبرز مصطلح ومفهوم التقنولوجيا في العصر الحديث، ففي العصر القديم كان الإنسان يعرف العلم، لكن في عصرنا هذا تمكن من إضافة كلمة " **لوجيا "** إلى التقنية، فظهر علم التقنية، فهو هنا يفصل بين عبارة التقنولوجيا، وبين العلم التطبيقي الذي عرفته كل العصور والأزمنة، أما العلم التقني، فهو منهج علمي جديد بقي ظهوره في هذا العصر؛ فهو إذن، منهج يتغير ويتحول تبعا لتغيرالعصور[1].

[1]راجع :محمود أمين العالم، **الوعي والوعي الزائف في الفكر العربي المعاصر**،دار الثقافة،ص: 269.

إضافة إلى ذلك لقد ((كان المنهج العلمي قديما ووسيطا منهجا يستنبط كلاما من كلام، فلما أن نهضت واستيقظت أوروبا من سباتها الطويل بالعلم الطبيعي في صورته الذي استحدثها يومئذ **غاليلي** (1564-1642م)، و **نيوتن** (1643 - 1727 م)، اصطنع العلماء منهجا آخر ي دور أساسا على ربط المسببات بأسبابها في ظواهر الطبيعة، ولبث الأمر كذلك إلى القرن التاسع عشر، فتغير المنهج بصورة جوهرية حيث أصبح ما نسميه التكنولوجيا))[1] .

يبدو أن التصورات التي قدمها **زكي نجيب محمود** حول العلم واعتباره خاصية جوهرية وأساسية عصرية حصرها في ثلاث خصائص هي :

أ–هناك قدرة وإمكانية تحقيق وتوفير قدر من الرفاهية وال سعادة للإنسان، وذلك باختراع واكتشاف الأجهزة المختلفة والمتنوعة التي تساعده وتمكنه من معرفة قوانين ونواميس الطبيعة والمجتمع، والتي استطاعت أن تدخل وتتغلغل إلى جميع الميادين والمجالات، كالعلوم الاجتماعية والإنسانية.

ب- العمل من أجل القضاء نهائيا وكليا على الفوارق بين الشرق والغرب،مع العلم أن هذا العصر هو في الواقع **عصر التقنولوجيا** والعلم الدقيق؛ وبالتاليلا فرق في هذا المجال بين مجتمع في الشرق وآخر في الغرب، ونهضة وتقدم هذا الأخير مرهون بأن يعطي للعقل دور الصدارة بالدرجة الأولى، وأن يوجه عمل ونشاط العقل تجاه الطبيعة لدراستها وفهم نواميسها وقوانينها.

ج - العمل على إزالة ومحو الاستغلال والفوارق الفردية في المجتمعات، وبعبارة أدق إذا أمسكت التقنيات العلمية بزمام الأمور فلا كدح، ولا استغلال، ولا عبودية ، إذ يصبح فائض القيمة نتيجة للتقدم العلمي في هذا الميدان والقطاع، وليس نتيجة لكدح العاملين ، وهذا الرأي والموقف الذي كان يقر به الأستاذ **زكي نجيب محمود،** وهو في الواقع شبيه بتلك التصورات والآراء التي يصدرها ويقرها علماء الاقتصاد بشكل عام.

أما على المستوى الديني: فيرى الأستاذ أن طبيعته هي توثيق الصلة بين الإنسان وخالقه، والإنسان وأخيه الإنسان، لأن الطريق لا تستقيم أمامنا، إذ نحن جعلنا للعلوم الطبيعية منهجا، ولما يتصل بالحقيقة المطلقة منهجا آخر.

من هنا تظهر لنا ملامح **الخطاب التجديدي** إذا ما نحن استطعنا أن نقدم تصورا حضاريا وتجديديا ونهضويا، وكذا إذا حققنا أو شك ّلنا وأسسنا وبنينا وعيا هادفا وبناءا على المستوى الفكري، وعلى المستوى الديني وعلى المستوى العلمي؛ مع العلم أن مفكرنا العربي كان يسعى دائما إلى تحقيق وتجسيد ما يسمى **بالخطاب التجديدي** في الفكر العربي الإسلامي المعاصر.

[1] زكي نجيب محمود، **مجتمع جديد أو الكارثة**،دار الشروق،ط1، بيروت، سنة 1978م، ص:185.

وفيه تحصيل لأهم محاولات **زكي نجيب محمود** الهادفة إلى تعميق رؤيته إلى التراث والعقل معا، وهي محاولات لا تخرج عن المنهج الذي تبناه سابقا وهو **منهج الوضعية المنطقية.**

المبحث الثاني: خطاب التجديد عند زكي نجيب محمود في ميزان التأييد و النقد

المطلب الأول: موقف المتأثرين لفكرة التجديد عند زكي نجيب محمود

نجد " **المفكر يوليانا غرا فتسكي** " يقول : ((زكي نجيب محمود واح د من رجال التنوير القلائل في الوطن العربي في القرن العشرين ، وقد كانت دراساته وأبحاثه المبكرة في الفلسفة والعلم والعقل من الأعمال التي أثارت الكثير من الجدل وشكلت في النهاية تيارا جديدا في الفلسفة العربية المعاصرة، كما أن أعماله الإبداعية الأخرى جاءت لتكمل هذا الجانب من تنظيره الفكري **)**.

عموما ما يمكن استخلاصه من قول المفكر " **يوليانا غرافتسكي** " هو أن أعمال المفكر العربي زكي نجيب محمود ، تعتمد أساسا على العقل بال درجة الأولى ؛ الأمر الذي أضفى على مجمل أعماله الصبغة العلمية المنطقية ، فكانت في الواقع أعماله أكثر ارتباطا بالواقع الفكري والاجتماعي المعيش .

المطلب الثاني: موقف التجاوز لأطروحة الخطاب التجديدي عند زكي نجيب محمود

إن المنتقدون والرافضون لهذا التيار، أي فلسفة الوضعية المنطقية ، فهم في الحقيقة كثيرون جدا، فنذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر مجموعة من المفكرين والعلماء وهم: المفكر العربي **"الدكتور عبد الرحمان بدوي"**، الذي يرى أن هدف الفلسفة ودورها كما حددته الوضعية المنطقية، في الحقيقة هو دور تافه وساذج إلى حد بعيد جدا، بحيث لا يمكن للفيلسوف أن ينزل بالفلسفة ومهمتها إلى هذا الدور الطفيلي التافه ، وقد يشاطره في ذلك أو يتفق معه في الرأي مفكر آخر يسمى " **الأستاذ توفيق الطويل"**، إذ يرى هذا المفكر أن الوضعية المنطقية اتجاه فلسفي يهدف إلى تدمير الفلسفة[1]،واستبعاد قضاياها من مجال البحث هذا من ناحية، كما هو تجاهل للوظيفةالاجتماعية للفلسفة في تخمير أفكار الحياة اليومية، ومن هنا بالضبط اتفق**عبد الرحمان بدوي**، و**توفيق الطويل** على تفاهة وسذاجة وسطحية الوضعيةالمنطقية.

أما المفكر العربي الآخر الذي قدم انتقادات لاذعة إلى **الوضعية المنطقية** والمناصرين لها، فهو المفكر العربي " **محمد علي أبو ريان"**، الذي يرى: ((أن الوضعيين المنطقيين بادعائهم أن المشكلات والمعضلات الفلسفية الصعبة والمعقدة والشائكة ترجع بالدرجة الأولى إلى اللغة، فإن ادعائهم وافترائهم هذا ينطوي على قدر كبير جدا من التبسيط المنحل والسطحية المغرقة والسذاجة التي تسقط من حسابها، عن عمد وقصد تاريخ الفكر الإنسان ي للفلاسفة، إذ الفلسفة الحقة تسبق العلم، وتقدم له الفروض المثمرة وترسم له طريقة البحث)).

وهناك مفكر عربي آخر قدم انتقادات شديدة وقوية جدا للوضعية المنطقية، هو المفكر **محمد عبد الهادي أبوريدة**، فهو مع إقراره وقوله بقيمة وأهمية التحليل المنطقي، إلاّ أنه من جهة أخرى يرى أن موقف الوضعية المنطقية فاسد وغير صالح إلى حد السخف، لماذا ؟ لأنها تحاول أن تضيق نطاق ومجال المعرفة إلى أقصى وأبعد حد، ولا تؤدي إلا إلى معرفة سطحية وناقصة وفوق هذا أن **الوضعية المنطقية** ، هي كذلك محاولة جديدة لضرب وتحطيم وهدم الفلسفة المثالية بالدرجة الأولى، وهدم الميتافيزيقا بقصد غير صريح وواضح

[1] إبراهيم بدران ، الفلسفة في الوطن العربي المعاصر ، ص : 188 .

، وهو محاربة الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى ، وبكل ما يتجاوز عالم الحس والمادة.

إلاّ أننا نجد نظرة الأستاذ " **علي حسين الجابري**" حول تقييمه للمفكر العربي زكي نجيب محمود تختلف عن الآخرين، إذ يصرح : ((لقد تبنّى محمود النزعة العلمية المنطقية التجريبية المتطرفة والمشوبة بخليط ذرائعي ذاتي، مع أن النزعةوتطبيقاتها نبتت في بيئة ذات خصائص تاريخية واجتماعية وحضارية ، جاءتمغايرة عن عصرها ومرحلتها وظروفها التي ولدت فيها في سياق مدني لم يألفه مجتمعنا العربي بسبب تفاوت ظروف التطور التاريخي[1].

أما المفكر العربي **محمد البهي** والذي يتفق ويقترب مع موقف المفكر **محمد عبد الهادي أبو ريدة** ، فمحمد البهي يرى في هذا الاتجاه الذي يعرضه زكي نجيب محمود " أي التيار الوضعي المنطقي " في الواقع هو ترديد للفكر العربي المادي الخالص الذي ساد وعم في القرن التاسع عشر (19) ، وليس هو إعادة وترديد نافع يثمر في الجماعة الإسلامية الناهضة كفكر علمي ، هندسة ، طب كيمياء .. بل هو ترديد متصف بالتشويه والتحريف والتزييف ، يزيد الأمر لبسا ، ويدفع إلى الشك السلبي.

وإلى جانب هؤلاء المفكرين الذين قدموا بعض الانتقادات إلى المفكر العربي زكي نجيب محمود حول خطابه النهضوي التجديدي ، كمشروع للنهضة العربية الإسلامية في شتى الميادين والقطاعات ، نجد أيضا المفكر العربي المغربي الغني عن التعريف بمؤلفاته وكتاباته ومقالاته المختلفة ألا وهو " محمد عابد الجابري " ، هو الآخر قدم بعض الانتقادات إلى المفكر **زكي نجيب محمود** حول مشروعه النهضوي التجديدي، وهو بدوره يتساءل : إذا كان زكي نجيب محمود يدعوإلى ضرورة إعادة تأسيس العقلانية الجديدة في الفكر العربي ، وينصب العقل في حياتنا الفكرية من أجل الخروج من هذه الأزمة الخانقة والحادة ، فأي عقل الذي يقصده مفكرنا العربي **زكي نجيب محمود** والذي يمكننا من قراءة تراثنا الفكري ؟ أهو العقل الذي تتضمنه الوضعية المنطقية باعتباره يكتسي نظرة وصبغة علمية ومنطقية خالصة ؟ أو العقل كتجربة غربية أجنبية تبناها زكي نجيب محمود في فحص ودراسة وقراءة التراث العربي وتصنيفه وترتيبه وإظهار الجانب المعقولفيه ؟

يقول **الأستاذ محمد عابد الجابري** : ((هكذا يتضح أن النتائج التي ينتهي إليها العرض والاستعراض ستكون محكومة المقدمات ، وفيلسوف الوضعية المنطقية يعرف هذا جيدا ، ولكن صحوته القلقة ربما جعلته ينسى هذا ويعتقد بالتالي أنه تحرر منرؤيته السابقة ، لذلك تراه يبحث عن النتيجة هنا وهناك إلى أن وجدها ، بل أسقطهاعلى غربة أبي حيان التوحيدي))[2].

---

[1] محمد البهي ، الفك ـر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمارالغربي، دار الفكر ، ط 6 ، بيروت ، سنة 1973 م ص ، ص : 305–314 .

[2] محمد البهي ، الفك ـر الإسلامي ال حديث وصلته بالإستعمارالغربي ، دار الفكر ، ط 6 ، بيروت ، سنة 1973 م ص، ص : 305–314 .